آلهة مجرمون

بقلم عفيف هيكل صوايا المحامي

(فاجاب يابني تلك ما اقامته شعوب الأرض لعبادة مولانا المعظم إله الحرب ، ورب السيف والمدفع الذى دان ويدين له الانسان فى شتى بقاع الدنيا على اختلاف الأجيال والازمان..)

. . وكانت طلائع الفجر مزدحمة تتدافع فى طريق المشرق ، كأنها اللجة المتواثبة في عرض اليم المنطلقة في محاولة الشاطئ ، أو كأنها الركب الهائم فى مجاهل الصحراء يتخطاها متلمساً طريقه فلا يهتدي اليه . وكنت لم ازل بعد فى قبضة الكرى اتقلب مترددا بين الغيبة والوعي تعاجلني اليقظة ويشدني النوم ، ساعتئذ اقبلت على نفسي اخدعها واغريها بان قد اشتعلت فحمة الليل ، وتفتحت براعم الفجر ، وصدح قنبر الصباح ، وشاعت انفاس النهار ، ولكنها اعرضت عنى في جفوة واستعصاء ، وما برحت تتمادى فى عنادها حتى عدت فاستطردت مستغرقا من جديد في هجعة عميقة ، ارتقيت منها محلقا الى حلم مضياف : القاني عند روضة منورة فيجاء من الملأ الاعلى ، فتلفت من حولي حينذاك فاذا بشيخ متهدم اشعث يتهود متحاملا على عصاه لعله واحد من كبار الامناء فى دولة المريخ . اقبل فحييا فرددت باحسن واوفى ، ثم لم يكن برهة او بعض البرهة حتى امسك بيدي الى كوة ضيقة ، استطالت منها على هذا الكوكب الصغير الذي يسمونه أرضا .

وهناك ابصرت على سطحه ، فيما ابصرت ، هياكل مشمخرة تتعانق فى اجواز السحاب ، تشير الى العظمة ، وتدلل على الصولة والملك ، عندئذ بادرت سيدي الشيخ بالسؤال عما هي تلك المشمخرات فاجاب : يابني تلك ما اقامته شعوب الارض لعبادة مولانا المعظم إله الحرب ، ورب السيف والمدفع ، الذي دان ويدين له الانسان في شتى بقاع الدنيا على اختلاف الاجيال والازمان .

قلت ولكنها معابد للطغيان ، ومعاقل للموت ، ومنازل للجحيم ، رسمتها الاطماع من على ظهر هذه الكرة وخلقها الشر من تحت افاقها الشاسعة ، لقد ارادتها القوة الغاشمة فرفع الطغيان اعمدتها الضخمة على سواعد الضعفاء ، ورصعت الجريمة ابراجها العاجية بجماجم الصعاليك ، وسمرت الاثرة تماثيلها الحمراء بفضة الملوك . ووشاها الجشع بذهب الارض تلكم المعابد التي يرتادها اشياعكم زبانية النار وعبدة الشهوات الفجر ، ويختلف الى ملقاها سادة الاطماع هؤلاء الذين يتطاحنون من اجل غل الايدي وشد الاعناق ، ويتكبون على تعفير الجباه ، وهدر الدماء تحت اقدام آلهة مجرمين سفاحين . .

وهنا انتفض سيدي الشيخ انتفاضة غضب واستهتار قائلا

كل ذلك له اسباب سبق ان أشار اليها بعض المفكرين ، ولكن قادة الرأي والدين كانوا في نوم عميق وسبات طويل أدى بهم الى هذا الحد .

بعد هذا اقدم هذه الاضمامة من القصص ، وهذا الغذاء الفكري والادبي — شأني فى كل عام مر — لكتاب اكثرهم من أعلام هذا الفن ، وأنا فخور . . الى قراء البيان الكرام من اخوان لهم فى سن متفاوتة وفى بقع متنائية ، سهروا الليالي

وأذابوا المهج واخرجوا هذه القطع القلبية ، والعصارة الذهنية . . تجمعهم فكرة واحدة هي : الفرد للمجموع في ظلال حبيبة الى النفوس هي : الاصلاح . الفن . الأدب الجميل .

واخيراً لابد ان يكون للعرب [قصة] يكتبونها باقلام من نار ومداد من دم .

علي الخافاني

آلهة مجرمون . سفاحون ! !

ولكنها الارض دانت وتدين للمريخ يابنى وله عبر امصارها الاوصياء والخلفاء ، والاتباع والاشياع ، يقيمون له الهياكل لتقدم الانسانية اكباشها على مذابحه وتحرق ضحاياها بين الفترة والفترة من الدهر ..

قلت اجل ياسيدي . تلك شظية من شظايا المريخ ، اندلعت منذ فجر التاريخ ، فغمرت الارض دخانا ودما ، وعبأتها آلاما وآثاما ، ونفخت فى معمورها ريح البؤس ، وفجرت على صعيدها الدموع ، ولما تزل جحيما عالقا يصطلي لايستقر لهبه الى الأبد السحيق .

وفيما نحن قيد المحاورة والنقاش ، واذا يتبدى لنا هنالك جندي ثائر ، يهدر ويزمجر كالسيل ، ثم لا يلبث ان يغير منقضاً على التماثيل فيحطمها تحطيما ويلقى بها انقاضا ورشاشا تحت قدميه العاتيتين ، وهنا اردف سيدي الشيخ من هذا الكافر الذي يحطم تماثيل الآلهة . قلت لا شك انه جندي من الارض جاء يتبرد من غضبته ، ويتشفى لثأره ، بعد ان إرفضت المعركة ، وبعد ان مسح بمنديله المخضوب غبار الجهاد المقدس .

انظره ياسيدي هو ذا يستوي فوق دكة من هذه الانقاض محطم القوى ، ثائر النفس ، مشرد الفؤاد ، وقد تلاشت في اعماقه نشوة الظفر ، وتوارت عن عينيه بهجات المهرجان وانقطعت عن متناول اذنيه زغاريد النصر ، وازدحمت في خواطر نفسه اهوال المعركة ، وتناهبت ضميره اشباح الجريمة . .

انه لم ينفك مستلقياً على تلك الغمرة الطاغية من الخيال يطوف حول امسه الرهيب ، بنفس مشردة هائمة ، ويتغلغل وسط آفاق مكفهرة تعج بالذكريات الحالكة عجا ، مترددا بين الشكنة المضطربة والمخدع المطمئن ، بين خشخشة القيد وأناشيد الحرية ، بين وحشة القبر وبهجة الحياة ، بين التضحية الغالية والامانى المنشودة ، بين أمسه المطوي وغده المرتقب .

اجل . انظره بعد ان تورعت نفسه هذه الخواطر ، وتناقلها ذلك العرض القاتم ، من افق الى افق ، كيف راح يرقد متطلعاً من وراء أطلال ذلك العمران الدارس ، الجاثمة عند اقدام الزمن ، المترامية تحت ظلال الأبد ، شاخصاً شطر القافلة قافلة القرن العشرين ، وقد يممها وهي تشد رحالها نحو عالم جديد ، خلال بلقعة قفراء ، تتبسط امامها فلاة قصية الأرجاء ، تطرقها المخاوف وتغشاها سكينة الموت ، فكأني بها مرابض لأسراب الجن ، اومسارح لقطعان الوحش ، تتناعب الغربان تحت آفاقها الشاحبة ، وسط اويم اجدب مزدرع بالضحايا ، تتعانق من فوقه الصلبان السود .

ثم تحولنا قليلا فاذا هنالك على الهضبة المجاورة جلس طغمة من الساسة ، وجمهرة من قادة الرأي ورجال السيف يتفاوضون ويتآمرون فى انشاء عالم آخر ، واقامة عمران جديد ، يغمره النور ، وتزدهر في ارجائه الحياة ، ويستقر فى ظلاله الأمن .

وانهم لكذلك اذا بزلزال تنشق عنه الأرض ، فتتفتح القبور ، وتنتفض من الدرك العميق ملايين الجماجم ، في مثل عاصفة هوجاء ، وقد زعق فيما بينها صارخ ارعدودوى كأنه صدى ثورة تشتعل فى مجاهل الجحيم ، او صرصرة ابالس حمر تتصايح في هياكل المريخ

[ايها الساسة والمصلحون ، يارفاق الجهاد بالامس وبناة العالم اليوم ، ان على الاجيال ذمما تتقاضاها السماء ، وحسابا تناقشه الأرض ، وشهادة يؤديها التاريخ ،

— فاي عصر هذا العصر الذي تجده فيه الحياة ، وتعمل لتعبئة قواها تحت ألوية الموت ؟

— واي دين أخرق تدين به الارض للمريخ بل واي استسلام اثيم ، يلقي بمقاليدها في ايدي آلهة مجرمين ؟

— واية زكاة للسلام ، تزفها افواه النار الى عالم الغد ، تراثاً وحشياً يتودعه الاسلاف للاخلاف ؟

بل اية جريمة نكراء يشدها التأريخ شدا الى عنق هذا

[البقية على صفحة ٩٥]